

المذهب الشيوعي الاقتصادي : وعن هذا التصور ينبثق المذهب الشيوعي الاقتصادي ، وهو يقوم على مجموعة من الأسس يمكن تلخيصها فيما يلي : 1 - إلغاء الملكية الفردية ؛ يعتبر الشيوعيون الملكية الجماعية هي الأصل ، و الملكية الفردية نزعة شريرة مكتسبة ، وهي المسؤولة عن الصراع الطبقي عبر التاريخ ، ولذا يتعين إلغاؤها وإحلال الملكية الجماعية محلها . ومعنى الملكية الجماعية أن الدولة تملك الإنتاج نيابة عن العمال . وقد تم إلغاء الملكية الفردية بصورة حادة في عهد (لينين) وجزء من عهد ثم تراجع التطبيق الشيوعي في عهد (خرتشوف) الذي اضطر إلى تمليك الفلاحين جزءاً من الإنتاج لما رأى تزايد تراجع المحاصيل الزراعية . وهذا يدلُّنا على أصالة الملكية الفردية وأنه لا يمكن إلغاؤها . أما إحلال الملكية الجماعية محلها فقد تكشف عن أسطورة ضخمة ؛ فالدول الشيوعية تملك كل شيء ، وهي كابوس على المواطن لا نائبة عنه . أما إحلال الملكية الجماعية محلها فقد تكشف عن أسطورة ضخمة ؛ فالدول الشيوعية تملك كل شيء ، وهي كابوس على المواطن لا نائبة عنه . فالشيوعيون يرون أن الملكية الفردية منذ أن ظهرت انقسم هي المجتمع إلى مالكين وكادحين ، وأصبحت الطبقة المالكة تستبد وتظلم الطبقة التي الكادحة ، ولا سبيل إلى إزالة الظلم إلا بإزالة الطبقات والإبقاء على الطبقة الكادحة ، والطريق المؤدي إلى ذلك هو الثورة الحمراء ، وحينئذ تنشأ دكتاتورية (البروليتاريا) ؛ وقد اختلف التطبيق عن هذا المبدأ اختلافاً واسعاً ، وظهرت في المجتمع الشيوعي طبقةً جديدةً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى ؛ وهي طبقة الحزب الشيوعي الحاكم الذي يملك الامتيازات الطبقة الكاملة ، في حين الطبقة الكادحة هي مجرد أصفار مهددة الحقوق ، ولهذا قال المؤلف عنها : (الدكتاتورية الواقعة على البروليتاريا لا دكتاتورية البروليتاريا) أ - هـ . ٣ - كفالة الدولة لجميع المواطنين ؛ من مبادئ الشيوعية كفالة كل فرد من أفراد المجتمع في المطعم والملبس والسكن ، وهذه الكفالة في مقابل تكليف القادر على العمل . وهذا هو الشيء الوحيد الذي برزت به الشيوعية في الواقع ، ولكنها كفالة على الحد الأدنى ، وأيضاً هي في مقابل العمل ، وكذلك يُصاحبها استئلال الدولة الشيوعية للشعب استئلالاً لا يخفى على من له اطلاع على أحوال الناس في المجتمع الشيوعي ٤ - المساواة في الأجور ؛ فالشيوعية من مبادئها المساواة بين أفراد الشعب في الأجر والمأكل والمشرب والملبس والسكن ؛ لأن هذه صورة الشيوعية الأولى بزعمهم . وقد طبقت الشيوعية هذا المبدأ بصرامة في أول عهدها بين العمال ، ولكنه بطبيعة الحال لم ينسحب إلى جميع العاملين ؛ فأجر الطبيب ليس كأجر الممرض ، عالية ، وهي طبقة الفنانين ؛ ٥ - إلغاء الدين ؛ فالشيوعيون يرون أن إلغاء الدين ضرورة ؛ لأنه ناشئ من الوضع . ولأن الدين يُصادم المبدأ الشيوعي الذي يعتبر المادة أصل الفكر . الحديث في الدين ، كاملة ، وقد قتل ستالين وحده ثلاثة ملايين ونصف من المسلمين ٦ - من كل بحسب طاقته ، وهذا قائم على أساس أن الناس في التطبيق الشيوعي سيرتفعون بمشاعرهم إلى درجة مثالية تجعل الإنسان يعمل بأقصى طاقته ، إلغاء الصراع ؛ وحينئذ تسود الشيوعية في العالم ويعم السلام . وهذا الفكر الطوباوي يُعني تصويره عن الرد عليه . فالشيوعيون يعتبرون وجود الحكومة الشيوعية وجوداً مؤقتاً ؛ لأنهم لا زالوا في مرحلة التطبيق الاشتراكي ، ولأن أعداء الشيوعية كثيرون ولا بُدَّ من حكومة تدافع عنهم ، ٨ - إلغاء الحكومة ؛ لأنهم لا زالوا في مرحلة التطبيق الاشتراكي ، ولأن أعداء الشيوعية كثيرون ولا بُدَّ من حكومة تدافع عنهم ، فإذا وصلنا إلى الشيوعية الكاملة ولم يبق للشيوعية عدو فحينئذ تزول الحاجة إلى الحكومة ويُصبح الشعب يحكم نفسه بنفسه وهذه كلها خيالات لا تقبل التطبيق ، ولا تمت للواقع بصلة ؛ ولهذا فالاسم المطابق لمذهبهم هو الشيوعية الطوباوية لا الشيوعية العلمية كما يزعمون !! ب - نظرية ماركس : وهو أبو الشيوعية الحديثة وصاحب المقولة المشهورة (الدين أفيون الشعوب) ، وقد أخذ ماركس جوهر نظرية دارون وأنشأ على أساسها نظرية اقتصادية وتفسيراً للحياة البشرية على النسق التالي : أ - أن الأحوال المادية والاقتصادية هي العنصر الرئيس المسيطر على حياة الإنسان وأفكاره ومشاعره . ب - بمقتضى هذا التصور قسم التاريخ إلى خمس مراحل : ١ - الشيوعية الأولى ؛ وجوهرها عدم وجود ملكية فردية لأي شيء . النساء ، ولهذا كانت الحياة في هذه المرحلة ملائكية بزعمه !! ٢ - مرحلة الرق ؛ انتقل الناس إلى هذا الطور عن طريق اكتشاف الزراعة ، فاستقرت القبائل القوية القبائل الضعيفة لتعمل في الحقول . ٣ - عصر الإقطاع ؛ وقد انتقلت البشرية إليه بسبب اكتشاف المحراث الذي بواسطته يستطيع الإنسان زراعة مساحات أكبر . ٤ - عصر الرأسمالية ؛ وكانت بسبب اكتشاف الآلة ، وقد كثر كلامه عن هذه المرحلة باعتبارها المرحلة التي عاشها ويدعو إلى الانتقال عنها . ٥ - الشيوعية الثانية ؛ وهي تتكون نتيجة الصراع بين أصحاب رؤوس الأموال وبين طبقة البروليتاريا (العمال) . وقد زعم ماركس أن لكل مرحلة من تلك المراحل أخلاقها وعقائدها وتقاليدها ، وفيما بعد ذلك علامات رجعية ، وزعم أن هذه القيم تتغير تغيراً حتمياً كلما تغير الوضع الاقتصادي ؛ فمثلاً : في عصر الإقطاع ظهر التدين ؛ فتخيل قوَّة غيبية يتوجه إليها لتحفظ له زرعته وثمره ، لأن الرجل كان هو المتكسب ، فكان يفرض على المرأة أن تكون له وحده . لأن العامل يُسيطر على معظم وسائل الإنتاج فلا يحتاج إلى قوَّة غيبية تحفظ له

محصوله . أما في المجتمع الشيوعي فتختفي هذه الأمور تماماً ، فتُلغى الملكية الفردية ، ويُلغى الدين إلغاء كاملاً ؛ ويعود الناس إلى المجتمع الملائكي الأول ، وهي مرحلة الشيوعية . س/ لماذا اقتصر المؤلف على ماركس دون غيره من الملاحدة ؟ ج لأن ماركس أكثرهم تأثيراً ، وهو الذي قامت الشيوعية الحديثة على نظريته ، ولأن المؤلف – أيضاً – يعرض دور اليهود في إفساد أوروبا ؛ فاقصر على ماركس باعتباره يهودياً . أولاً : المذهب الحسي ، ومن أبرز من يُمثله (ديفد هيوم) و (شوبنهاور) و (نيتشه) . ثانياً : المذهب الوضعي " المدرسة الواقعية " ، ومن أبرز من يُمثله (أوجست كونت) . 1 – أما (ديفد هيوم) : فهو فيلسوف بريطاني ، كان لا يؤمن بما وراء الحس ، ولهذا أنكر عالم الغيب كله بما في ذلك الله والدار الآخرة ، وقد بلغ به الشطط إلى إنكار قانون السببية ، وهو ما سماه (قانون التشابه والاقتران) أو (تداعي المعاني) ، ٢ – وأما (شوبنهاور) : ففيلسوف ألماني لا يؤمن بما وراء المادة من الغيبات ، ويرى أن العالم المادي أو الحس كاف لتفسير كل ما يجري فيه ، وليس بحاجة إلى قوة خارجية تؤثر فيه . وقد غلب على فلسفته التشاؤم ، واخترع ما سماه (الإرادة الكلية) ، وزعم أن الكون كله يخضع لها وهي التي تحافظ على بقائه ، كما زعم أن وسيلة الإرادة الكلية في الإبقاء على النوع الإنساني هي العقل والجنس ؛ كوجود إله أو بعث أو جنة أو نار ، والجنس يقوم على إغراء الذكر بالأنثى والعكس ، وقد أعلّى من شأن الغريزة الجنسية واعتبرها أساس السلوك الإنساني . ٣ – وأما (نيتشه) : ففيلسوف ألماني أيضاً ، كان لا يؤمن بما وراء الحس ، ويعتبر الدين أكبر خرافة توارثتها الإنسانية ، وكان يُمجّد القوة ويدعو إلى القضاء على ما يعارضها ؛ كالحب والعطف والرحمة ، فذهب أن الكائنات بدأت من الخلية الواحدة ثم تطورت حتى وصلت للإنسان ، وعلى الإنسان أن يبدأ مسيرة التطور عن طريق القضاء على الدين والقيم وإحياء الصراع بين الأقوياء والضعفاء دون رحمة ، ولهذا عُرفت فلسفة (نيتشه) بفلسفة العنف . ٤ – (أوجست كونت) : وهو فيلسوف فرنسي ، وهو مؤسس المذهب الوضعي أو الفلسفة الوضعية (الواقعية) ، وكان يرى أن الفكر الإنساني لا يُدرك إلا الظواهر المحسوسة في العالم وما بينهما من علاقات محسوسة ، أما العلل التي وراء هذه الظواهر فهي أوهام لا صلة لها بالواقع ، ولهذا أهمل عالم الغيب كله . وقد زعم (كونت) أن التقدّم الإنساني مرّ بثلاث مراحل : المرحلة اللاهوتية ، ثم الميتافيزيقية ، وأخيراً الحالة الوضعية ، وفي هذه المرحلة يقتصر العقل على اكتشاف قوانين الظواهر الطبيعية ولا يبحث عن العلل المطلقة ، وبناءً على ذلك لا يمكن أن المرحلة الوضعية أو الواقعية إلى وحدة مُطلقة ؛ ك (الله) في الحالة اللاهوتية ، و (الطبيعية) في الحالة الميتافيزيقية ، وقصارى ما يمكن أن نبْلغه هو (وحدة المنهج تنتهي العلمي) . وهكذا نرى أن هذه الفلسفة أهملت الدين والغيب ، ونذكر هنا أن زعمه بأن المرحلة اللاهوتية بدأت بالتعدد وانتهت بالتوحيد مخالف للشرائع السماوية التي أُنزلت على أن الأصل في البشرية قال تعالى : كَانِ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ [البقرة : ٢١٣] ؛